الفصل الخامس

قنوات الدبلوماسية

التقارير والبرقيات
التفاوض

اعتمدنا فى هذا الفصل على: ـ

Humphvy Tvevelyam "Diplomatic channels".

عن تحرير التقارير:

بخلاف المفاوضات، فإن مهمة السفير الأساسية هى أن يبعث بتقارير حول الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى البلد الذى يعيش فيه: حول سياسة حكومته وحول محادثاته مع القادة السياسيين، والرسميين وأى شخص آخر أنار له المسرح السياسى.

ولسنا فى حاجة لأن نأخذ بشكل كبير من الجدية الرأى الذى نراه فى الصحافة الدارجة أن السفير ليس ضروريا، على أساس أن مراسلا صحفيا جيدا يستطيع أن يقوم بالوظيفة بدونه. إن مثل هذا المراسل يقع دائما تحت ضغط الوقت. وهو مشغول ببريق الصورة الأمامية أكثر من الوقائع الدائمة التى تقع وراءها. وهو يجب أن يحاول وأن يستخلص نتائج، رغم كونها قائمة على التخمين، إلا أنه يشعر بالأمن إدراكا منه أن مايكتبه سوف يستخدم فى اليوم التالى كلفافة للسمك، وسيكون لديه الكثير من الفرص لتصحيح أخطائه. إنه يجب أن يكتب مايجعل الناس يشترون صحيفته: فإذا ماكتب تقريرا من النوع الذى يجب أن يكتبه السفير، فإن توزيع الصحيفة سوف ينخفض فى الحال. إن السفير ليس مطالبا بأن يحاول هزيمة وكالات الأنباء أو أن يتنافس مع أخبار الساعة ويعلق على الصحافة والإذاعة. إن برقيات السفير تبلغ مناقشات سرية، كما يجب أن تكون أداة حكومته فى تقييم المسرح الدولى، وستكون تقاريره مختلفة بشكل جذرى عن تقارير الصحافة.

إن البرقيات الواردة من السفارات البريطانية فى الخارج وتحتوى على أهمية ما، وليست موجهة لشخص محدد إنما توزع فى وزارة الخارجية وإدارات أخرى معنية فى الوايتهول. وجزء جوهرى من النظام أن لاتعاد صياغة هذه البرقيات، وعدم حظرها، مرة واحدة التى عرفت فيها أن هذا التقليد لم يعمل به، فقبل عدة أيام من الهجوم الإسرائيلى على مصر عام ١٩٥٦ بعث السفير فى تل أبيب ببرقية يسجل فيها محادثة مع ابن جوريون. والجزء الأخير من ملاحظات ابن جوريون، التى تضمنت اتصالات مع وزراء بريطانيين غير معروفين للسفير أو للإدارات فى لندن، كان قد حذف ولم يعلم أحد أبدا من الذى حذفها وكانت بعض النسخ الأولى التى تضمنت الأجزاء التى حظرت مازالت موجودة. وقد رأيت بعد ذلك واحدة منها حفظتها الإدارة التى تسلمتها كنوع من فضول الحياة الرسمية، والتى استخلصت النتائج الصحيحة منها ولكن خلال أزمة السويس فإن العلاقات المعتادة بين

الوزراء وجميع الرسميين فيما عدا واحدا أو اثنين قد قطعت، أما جميع الرسميين الآخرين فلم تطلب مشورتهم بل إنهم لم يبلغوا بما كانت تفعله الحكومة.

والبرقيات ذات الأهمية غير المحلية من السفراء البريطانيين تطبع وتوزع على إدارات أخرى وسفارات فى الخارج. ومنها يحصل السفير على معظم معرفته عن المسرح الدولى فى عمومه. وإذا لم تتفق إدارات فى وزارة الخارجية مع تقييم الكاتب، فإن تقييمه سوف يفند ببرقية باسم وزير الخارجية، وفى مرة واحدة لم تراع هذه العادة، حين لم تتفق الإدارة مع وجهات نظر عبر عنها رئيس بعثة فى ثلاث برقيات كتبت قبل أن يعود إلى الوطن. ولم تطبع هذه البرقيات وإنما أرسلت منها نسخ لسفارات قليلة. وفى تقديرى أن هذا كان خطأ. إن مدير الإدارة كان يجب أن يكتب ردا من وزير الخارجية، وكلا من البرقيات والرد كان يجب أن تطبع. ومؤخرا لم تتفق وزارة الخارجية مع تقييم سياسي من سفارة هامة وردت عليه ببرقية لاذعة فى رفض وجهات نظر السفير. ولأنى لم أر كلا من تقييم السفير والرد عليه، فإنى لا أستطيع أن أحكم على وجهات النظر المتعارضة. وقد طبع كلٌ منها ووزعا وفقا للعادة ونشر الخلاف على أعضاء البعثات فى العالم، كان هذا هو الإجراء الصحيح وقد تبدو تفاصيل هذا الإجراء ذات أهمية صغيرة وهذه وجهة نظر خاطئة: إن عليها تقوم أسس دبلوماسية جيدة.

وفى إبلاغه لحكومته عن محادثاته فإن السفير يجب أن يكون أمينا ودقيقا، وهذا أمر طبيعى، ولكن هدفه يجب أن يكون هو إبلا غ روح المقابلة وبلغة ستمكن الوزراء فى الوطن أن يفهموها بشكل سليم، ولذلك فإنه من المحتم عليه أن يراعى الحذر وأن يفسرها بدون أن يشوه المعنى، وعليه أن يتآلف مع موجات الطول المختلفة فى الوطن. فرواية مباشرة لمقابلة ما لا تتآلف بشكل صحيح مع مايتردد فى الوطن سوف تنتج انطباعا زائفا. وفى الممارسة الدبلوماسية فإن الخطيئة المميتة أن يبلغ السفير مايعتقد أن حكومته تحب أن تسمع. فهذا خطر للغاية. وقد يجلب كارثة، والمنظار الأيديولوچى، من أى لون، يزيف، فالعبارات المتحيزة يجب أن تزال من التقرير.وتقرير يقول بأن وزيرا اتخذ اتجاها قوياً يعنى عادة أنه يوافق مع وجهات نظر حكومة السفير، وتقرير يقول أن الوزير كان متشددا وعنيدا يعنى أنه لايتفق معها.

إن استخدام شيء من الدبلوماسية فى التعامل مع الحكومة فى الوطن هو ما يوصى به، وخاصة فى أوقات الأزمات الدورية المتوترة التى تلم بجميع الحكومات. إن السفير يجب أن لايعبر عن رضاه على نفسه بأن يذكر فى تقريره لحكومته «لقد شرحت وجهات نظركم بكل ما أملك من قوة وقد أُجز بوجهة نظرى» ولكننى أذكر مناسبة عندما فُسر بيانى بأننى نفذت التعليمات التى تلقيتها. وهو ماظننت أنه كل ماهو ضرورى، بأنه يعنى أننى لم أكن موافقا عليها وأننى قد أديت مهمتى بدون حماس أو اقتناع وفى مناسبة أخرى فإن تعليقى بأن اتجاه الحكومة المصرية التى كانت فى هذه اللحظة غير محبوبة بشكل كبير من رؤسائى هو أمر يمكن فهمه، قد لقى القلم الأحمر للسير أنطونى إيدن. وكان يجب أن أتنبأ بأن المثل الفرنسى القديم سوف يسرى هنا. وأن تعليقى سوف يفسر على أنه يعنى أننى أعذر المصريين لسلوكهم العنيف فى عدم ر ؤيتهم للأمور فى نفس الضوء الذى تراه فيه الحكومة البريطانية. إن الطريقة التقليدية لوزارة الخارجية البريطانية فى التعبير عن نفسها هى أن ترسل برقية تقول «لقد أجدت الحديث» وأذكر أنى قد تلقيت مرة واحدة هذا الوسام، وتساءلت عندئذ عما إذا كانت روايتى عن المقابلة المعنية تميل إلى تهنئة النفس والإسهاب. إن طريق كتابة التقارير يتطلب الحذر وفيه الكثير من الصخور المختبئة. ويستطيع السفير فقط أن يأمل أن مزيجا حكيما من الأمانة والفطنة يمكن أن يجعله يعبر هذا الطريق بشكل آمن.

ويجب أن تكون البرقيات مختصرة. فالوزراء فى الداخل لديهم الكثير ليقرأوه «لقد رأيت رئيس الوزراء أمس فى الساعة الرابعة بعد الظهر فى فيلته الأنيقة التى تطل على الخليج. وبعد أن صب لى ويسكى وصودا (طبعا بلاك ليبل)، من إناء زجاجى مصقول ومزخرف، ومستفسرا بطريقة ودودة للغاية عن صحتى وعائلتى..» مثل هذه الافتتاحية لم تكن مجهولة فى وقت ما ويقال أن المستر بيفن قد خاطب أعضاء سفارة بريطانية بقوله «إننى أتعاطف معكم. إن عليكم تشفير برقيات سفيركم، وعلى أن أقرأها». ومن المألوف بشكل أكثر هذه الأيام أن تصوغ برقيات وكأنك سوف تحملها بنفسك إلى مكتب التلغراف المحلى وتدفع ثمنها بنفسك،وليس مجرد تسليمها إلى عضو مسئول من خدمة اللاسلكى الذى يضعها فى الآلة التى تقوم بعملية التشفير كله. كما أنه ليس من الضرورى للسفير أن يكتب فى تقريره أنه رأى الوزير لمدة ثلاث ساعات وكأن نجاح المقابلة إنما يتناسب مع طولها. إن البرقية يجب أن تكون بالطريقة التى سوف يقرؤها بها الناس الذين

تريد أن يقرءوها. إن شرحا مدروسا لملكية الأرض فى روريتانيا سوف يقرؤه الأعضاء الأحدث عهدا فى الإدارة المختصة فى الوطن، إن لم يكن لديهم شيء أفضل يؤدونه حين يصل مثل هذا التقرير.. وبطبيعة الحال فإن الوزير ليس لديه وقت لكى يقلب صفحة منه. ولا يحتاج السفير أن يحجب للظروف ـ كلية ـ إنتاج سكرتير حديث حريص على أن يكسب لنفسه رصيدا من دراسته الشاقة للظروف المحلية. ولكنه يستطيع أن يرفق بهذه الدراسة، التى هى ثمرة عدد من ساعات العمل المثمرة. نصف صفحة موجزة تنبأ بهدوء أو بثورة الفلاحين، الأمر الذى تريد أن تعرفه حكومته.

وقد انتهى مؤلف لكتاب عن الدبلوماسية كتب منذ مائة عام مضت إلى «أن الكتابة المنمقة هى من أكثر الأخطاء الجديرة بالازدراء فى وثيقة رسمية». وقد أكد لورد هاليفاكس عن حق فى مذكرة شهيرة أن البرقيات يجب أن تكتب فى إنجليزية بسيطة وليس فى تقليد لأسلوب جيبون. ومن الأفضل أن تستخدم أسلوبا محددا أكثر من أن يكتب بإسهاب حيث إن ذلك يساعد فى جعل التقييم موضوعيا وأن لايتفوق الأسلوب على الحقائق.

إن تحليلا لسياسة حكومة أخرى يجب أن يوضع فى ضوء مصالحها، والضغوط الداخلية والخارجية التى تتعرض لها، ونظريتها السياسية ومنهاجها فى العمل وجميع عناصر نظرتها وخصائصها القومية. إنها قاعدة معقولة أن تتبنى أكثر التفسيرات بساطة لعمل حكومة مالم يكن هناك سبب ملزم ضد ذلك. ويميل بعض المراقبين السياسيين بشكل كبير إلى أن يفرضوا أن مبادرة دبلوماسية هى نتيجة الرغبة فى تحويل الانتباه عن المصاعب السياسية فى الداخل أو ماتمليه ضرورات موقف آخر. غير أنه لم يكن من الضرورى مثلا أن يفترض أن التطرف الصينى فى مضايق تايوان عام ١٩٥٧ كان راجعاً إلى رغبة الحكومة الصينية أن تحول الأنظار عن صعاب داخلية، أو أن الاستجابة السوفيتية لسياسة الهربراندت عن «الأوست . بولتيك[١]» كانت تنازلا قدم فى ضوء الموقف الخطير

(١) هى السياسة التى تبناها الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى ألمانيا الغربية بعد فوزه فى الانتخابات بزعامة المستشار ويلى براندت. واستندت هذه السياسة على بناء علاقات جديدة بين ألمانيا الغربية والاتحاد السوفيتى ودول أوربا الشرقية. وكان من أهم النتائج التى أثمرتها هذه السياسة هو توقيع المعاهدة الألمانية السوفيتية التى تم التصديق نهائيا عليها عام ١٩٧٢، وكذلك عددا من الاتفاقيات بين ألمانيا الغربية وبلدان أوربا الشرقية مثل تشيكوسلوفاكيا، وبولندا، والمجر، وقد ساهمت هذه السياسة فى تمهيد الطريق نحو علاقات الوفاق بين الشرق والغرب وبالذات نحو اتفاقيات التعاون والأمن الأوربى عام ١٩٧٥ (المترجم٩).

على الحدود الصينية، فى كلتا الحالتين كان ثمة أسباب كافية للنظر إلى هذه الأفعال على أنها تتفق والمصالح المباشرة للدولتين المعنيتين.

وبعد عودتى من عدن، أخبرنى دبلوماسى إسرائيلى أن وزارة الداخلية الإسرائيلية قدرت عام ١٩٦٧ أن ناصر كان يصطنع هجوما مضللا فى صحراء سيناء لأنه كان يعرف أننى سوف أناور ضده فى الجنوب العربى وأنه أراد أن يحول الانتباه عن موقف كان مؤكدا أنه سيهزم فيه، وربما كان هذا أحد ملامح تفكير الدبلوماسيين الإسرائيليين فى هذا الوقت وحقيقة أن ناصر قد أدرك أن مغامراته فى اليمن كانت فاشلة وكان هذا هو الموضوع الوحيد الذى قال فى سنوات لاحقة أنه غير مستعد للتحدث فيه، إلا أنه كان هناك أسباب وجيهة للاعتقاد أن تصرفاته فى سيناء كانت قائمة على تطورات فى منطقة النزاع العربى الإسرائيلى، ومع ذلك فإن المرء يجب أن يحرص من التبسيط الشديد. إن قرارات السياسة الخارجية هى بوجه عام نتيجة مزيج من الدوافع مثلما هو الحال فى فروع أخرى من النشاط البشرى.

وفى دولة شيوعية فإن تفسير النصوص الرسمية هو أساس تقييم الحالة الجارية للعلاقات بين الحكومات والأحزاب أو القادة. وبيان بعد زيارة رسمية يتحدث عن «تبادل صريح لوجهات النظر» يعنى عادة أنه كان هناك شجار هائل كاد الجانبان فيه أن يتضاربا، وتوحى عبارة «فى روح من التضامن الأخوى» أن جانبا قد أوضح للآخر أنه يتبنى خطا مستقلا مبالغا فيه بشكل لايتفق مع مصالحه فى المستقبل، وقد تشير عبارة «مناخ من الشعور الودى» أنه رغم أن أحد الأطراف هو فى الجانب الخاطىء من المساجلة الأيديولوجية، فإنه من المأمول أنه ببعض التودد يمكن استمالته لأن يتصرف بشكل يتلاءم مع مصالح الطرف الآخر.

إن المادة الخام بالنسبة للمتخصصين ليست فقط البيانات الرسمية المشتركة، ولكن أيضا الخطب، والمقالات، والمكان الذى تحتله فى الصحف، وحضور أو غياب زعيم حزب فى مناسبة اجتماعية والأشخاص الذين يختارون لمقابلة أو توديع الشخصيات الزائرة، والألقاب التى يوصف بها الرسميون وترتيب وقوف الشخصيات الرئيسية فى الاحتفالات الرسمية،وانتقاء، وتناول أو حظر الأخبار، وعدد وافر من المفاتيح التى إذا جمعت معا يمكن أن تلقى بعض الضوء على الظلام الذى عادة مايغطى صراع السلطة أو تحولات فى

السياسة فى حزب شيوعى. وقد روى أنه فى مناسبة التحالف بين روريتانيا وبيورتانيا فإن عضوا كبيرا فى مجلس رئاسة روريتانيا لم يكن فى المقصورة الرسمية فى الأوبرا. هل هذا يعنى أنه فى طريقه إلى خارج السلطة. أو أنه قد أصابه برد؟ وقد ذكر سكرتير أول الحزب سلفه الذى شوهت سمعته مرتين خلال خطبة استغرقت ثلاث ساعات. فهل يعنى هذا أن سلفه سوف يرد له اعتباره؟

إن الخبراء الأكاديميين فى الداخل ميالون إلى الاعتقاد أنه مادام لديهم نفس الوثائق لدراستها وميزة عدة سنوات من الخبرة السابقة والتى هى ضرورية لهذا النوع من أعمال البحث، فإنه من غير المجدى القيام بهذا العمل مرة أخرى فى السفارة بواسطة سكرتير أول قليل التجربة والذى من المحتمل أنه قضى أعوامه الثلاثة الأخيرة فى العالم العربى أو فى التفاوض مع آيسلندا حول حقوق الصيد. غير أن الناس فى وزارات الخارجية الذين يتلقون التقارير يعلمون أن الرجل فى الموقع يستطيع أن يساهم بشىء ما باستنشاقه للهواء المحلى، ويستطيع فى بعض الأوقات أن يصحح استنتاجات الخبراء التى يتوصلون إليها وهم فى عالمهم الآخر فى الداخل. إن ثمة فارقا بين أن تقضى أمسياتك فى شقة فى عاصمة بلدك وبين أن تقضيها فى حفل للعيد القومى فى مطعم براجا فى موسكو.

إننى أقترح أربع نقاط من النقاط العديدة التى يجب أن تظل فى الذهن فى تحليل السياسة الشيوعية. هل النقطة التى وردت فى إعلان رسمى جديدة أو أنها وردت من قبل؟ إن هذا الشىء أساسى ويتطلب معرفة خبير. وكان سير توماس برملو الذى كان وزيرى فى موسكو.. يختزن الحقائق فى ذاكرته الرحبة مثل جهاز كمبيوتر أحسن تنظيمه. وأذكر حين ما اعتقدت عام ١٩٦٤ أن هناك نقطة جديدة وردت هذا الصباح فى البرافدا. فأجاب «لا لقد ضمن خرشوف نفس النقطة فى خطبته فى السفارة البولندية فى موسكو فى نوفمبر ١٩٥٦»؟

ثانيا: نقطة معروفة جيدا لكل المتخصصين فى الشئون السوفيتية، فهناك افتراض فى اللاوعى فى غرب أوربا والولايات المتحدة أن تعبيرات مثل التعايش السلمى ، وعدم الاعتداء، وعدم التدخل وهكذا، لها معان عالمية، بينما فى الواقع لها العديد من ظلال المعانى التى تعكس مصالح أو نظرية الحكومة التى تستخدمها.

فالتعايش السلمى مثلا يستخدمه الروس لكى يعنى نضالا لانتصار الشيوعية بكل الوسائل فيما عدا الحزب، وليس «عش ودع غيرك يعش» والذى هو المعنى المعتاد فى الغرب.

والنقطة الثالثة هى أقل وضوحا. فقد لاحظت سوء الفهم الذى قد ينشأ من الافتراض أن حكومات شعوب أخرى تعمل بنفس الطريقة التى تعمل بها حكومة السفير، وربما فى بعض الأوقات تتأرجح إلى الجانب الآخر بميلنا إلى افتراض أن الشيوعية، والسياسة السوفيتية بوجه خاص إنما تتقرر دائما على أسس عقلانية وبطريقة عقلانية. وفى الواقع، ورغم ما للنظرية من نفوذ قوى، فإن السياسة السوفيتية إنما يتم التوصل إليها فى الأغلب بنفس طريقة سياسة الحكومات الغربية. حيث يتم التوصل إلى سلسلة من المواقف الوسط بين ضغوط مختلفة ومدارس فكرية وبعد جدل ومحاولات لكسب التأييد بواسطة مصالح خاصة مثل القوات المسلحة أو المخابرات السوفيتية. والنتيجة لا تستند بالضرورة على حساب هادىء لمصالح البلد الحقيقية فهل من المؤكد أن السياسة السوفيتية فى الشرق الأوسط تقوم على أساس من التقدير الموضوعى لتوازن المصالح السوفيتية؟. إن هذه هى أصعب مجالات التحليل السياسى. مادمنا ببساطة لا نعرف ما الذى يحدث خلف واجهة الوحدة السوفيتية، بينما لدى المحلل السوفيتى للسياسة الغربية ميزة ضخمة فى أن كل الضغوط وما يتسرب من مناقشات الحكومة إنما تناقش وتعرض فى الصحافة.

وأخيرا: فإنه من الضرورى تفادى معاملة السياسة الشيوعية وكأنها تنفذ لا فى العالم الحقيقى وإنما فى فراغ. إن تأثير السياسة السوفيتية فى الشرق الأوسط مثلا يمكن أن يحكم عليه بشكل سليم فقط فى ضوء التفاعل بين الروس وبين العرب المتقلبين والذين لايمكن التنبؤ بتصرفاتهم. وربما بدأ الروس يكتشفون ذلك لأنفسهم الآن.

إنه من الصعب غالبا أن تحكم إلى أى مدى تعتقد حكومة ما بما تعلنه أنها تعتقده حول دوافع حكومة أخرى. إن الروس يعلنون أنهم يعتقدون بأن طرد ١٠٥ مواطنين سوفيت من بريطانيا عام ١٩٧١ إنما يرجع فقط إلى تشدد متعمد لسياسة الحكومة البريطانية بهدف تخريب مؤتمر الأمن الأوروبى. وهى وجهة النظر التى ليس لها أساس. وهم بطبيعة الحال لايستطيعون أن يقروا بالتفسير البسيط أن لهم أكثر من حصتهم من الجواسيس فى بريطانيا، وأنهم رفضوا طلبات وزارة الخارجية منهم لتخفيض العدد. إن وزارة

الخارجية السوفيتية ربما تكون قد خضعت لجهاز المخابرات السوفيتية ومن الواضح أن ادعاءهم كان يمليه خط الحزب ولكن ربما كان وراءه شك مستتر. يعود إلى الاعتقاد الموروث بأن الحكومة البريطانية، ومنذ الحرب فى تأييد الروس البيض بعد الثورة وحملة آركوس، كانت بطبيعتها معادية للاتحاد السوفيتى. والإحساس الغريزى الذى ربما كان فيه ذرة من الصدق، بأنه نظرا لأن البريطانيين والروس لديهم عدة سمات مشتركة، فإن البريطانيين بالنسبة للروس أكثر صعوبة فى التعامل معهم من الفرنسيين أو حتى الأمريكيين.

وفى بداية عام ١٩٧٢، كان الصينيون يقولون أن البريطانيين من قبيل العادة يتركون «ذيولا» وراءهم: ذلك أنهم أعطوا عن عمد الاستقلال للهند بشكل يسبب متاعب مستقبلية حول كشمير، شرق وغرب باكستان، وشرق وغرب البنجاب. وقد ناسب هذا وجهات نظرهم فى الخلاف حول الوضع القانونى لتايوان، ولكنه لم يكن بالضرورة حجة تكتيكية فقط. وقد ظن نائب وزير الخارجية المسئول عن العلاقات مع بريطانيا والذى ذكر لى هذا ، أن ونستون تشرشل كان هو الذى أعطى الاستقلال للهند، الأمر الذى، فى ضوء احترام الصينيين للسيد ونستون. يؤيد وجهة النظر بأنه يؤمن حقا بهذه النظرية، فإذا ما حاولنا أن نتخيل ماتبدو عليه السياسة البريطانية من وجهة نظر ماركسية لينينية ولرجال ليس لديهم خبرة شخصية حول الأسباب التى يعمل بها العقل البريطانى، فإن هذا يبدو محتملا تماما.

لقد قدمت بعض الأمثلة عن الطريقة التى يسيطر بها الخيال بسهولة فى العالم العربى.. لقد كان قاسم فى العراق منغمسا للغاية فى خداع كل فرد آخر إلى الحد الذى خدع فيه بالتأكيد نفسه أيضا. ولدى شك قليل أنه كان يعتقد فيما أعلنه فى الإذاعة أننى قد دفعت ٥٠٠,٠٠٠ جنيه استرلينى لقائد الثورة الكردية ملا مصطفى البرزانى، لإثارة الثورة ضده وإلا فكيف كانت تفسر الثورة؟ ألم يكن هذا العمل يعبر بشكل نموذجى عن الأساليب البريطانية، ومصمما بوضوح لإحباط مطالبته العادلة بالكويت؟ وألم يتلق تقريرا أننى اختفيت فى جانب تل كردى لمدة خمس ساعات من الواضح لكى أقابل ملا مصطفى، والذى كنت قد زرته فى بغداد حين كان حزبه مسموحا به بشكل رسمى.

وأيا كانت صعوبات تحليل السياسة والرأى فى العالم الشيوعى المغلق، فإن دور السفير

هو فى بعض الوجوه أكثر صعوبة فى العواصم التى بها صحافة حرة. والتى هى مراكز هيئات صحفية ودولية واسعة ويغمرها سياسيون من بلده.

إن ملايين الكلمات تتدفق على المسرح الأمريكى. فما الذى يستطيع السفير أن يستخلصه منها ولا يكون فيه بالفعل أخبار بالية فى بلده؟ ويزور الملك عاصمة مجاورة. وعلى السفير أن يبعث بتقرير عن أحداث الزيارة بكياسة ولكن بدون تملق ويقيم نتائجها السياسية. وسوف يقرأ الملك تقريره مجاملة، ولكن من المحتمل أن لا يقرأه أحد آخر. ذلك أن كل معلق قد اعتصر منه آخر قطرة من المعلومات، ويقتل رئيس وهو يفتتح مصانع جديدة للغاز. ويرى ملايين المشاهدين كل التفاصيل ملطخة بالدم على شاشة التليفزيون. كما استنفد كل تفسير سياسى ممكن بواسطة المعلقين المطالبين بأن يملأوا عمودا فى صحفهم أو خمسة عشر دقيقة من وقت الراديو. والصعوبة الأعظم من أى شىء أيا كان الموقع، هى أن تتذكر أن المسرح المحلى الذى يملأ أفكار السفير اليومية والذى يبدو على هذه الأهمية بالنسبة له، سيكون ذا أهمية أقل للوزراء فى بلده الذين يتصارعون مع مشكلات عسيرة ويحاولون أن يبقوا رؤوسهم فوق الماء.

دعونا نتخيل مختلف السفراء يتطلعون من نوافذهم فى نهاية عام ١٩٧٢، مثلا ويتأملون فى الناس الذين هم فى مركز أفكارهم. إن السفير ليس مؤرخا محترفا أو عالما سياسيا. إن أفكاره من المحتمل أن لاتكون عميقة أو جديدة. ولكن ما تنتظره منه حكومته ليس موضوعا أكاديميا وانما وجهة نظر عملية.

وفى موسكو فإن السفير ربما يتوقف أمام علامات عن وعى جديد لدى القادة السوفيت عن كونهم قوة عظمى من حقها وواجبها نشر أفكارها ونفوذها حول العالم. ومع هذا فإنه سوف يتأمل أن الروس قوم حذرون بل بلداء، وليسوا بطبيعتهم عدوانيين وأنهم من الواضح ليس لديهم النية فى المخاطرة بمواجهة خطرة مع الأمريكيين، على الأقل لاقتناعهم أن الجنرالات فى البنتاجون لايتحلون بالمسئولية وربما يحثون الرئيس على أن يدعهم يفجرون العالم. فى نفس الوقت فإنهم فى طريقهم إلى بث الاستقرار فى شرق أوربا لما يتفق مع مصالحهم، ويظهرون أنهم يحتاجون تفاهما مع الأمريكيين حول الحد من الأسلحة النووية، ولو فقط فى ضوء مشكلتهم الدائمة فى تخصيص الموارد الاقتصادية. وحتى ولو كانوا مطمئنين للغاية حول الحدود الصينية، فإنهم ليس من المحتمل أن يدعوا هذا الموقف يخرج من يدهم.

وفى بكين، وبعد زيارة الرئيس نيكسون لها، فإن السفير قد يتأمل أنه مالم يكن لديك دليل جيد على عكس ذلك، فإنه من الحكمة أن تفترض أن الصينيين يعنون مايقولون. فقد قالوا دائما ماكانوا يعنونه حول تايوان، ويجب أن يؤخذوا بشكل جدى حين يقولون أنهم لايريدون أن يكونوا قوة أعظم، أو أن يحصلوا على وضع مسيطر فى البلدان التى يساعدون الثورة فيها فلماذا يحرصون على أن ينضموا إلى القوتين العظميين ويشاركوهم التزاماتهم المسرفة فى الإنفاق والمخيبة للآمال، رغم أنهم سوف يزودون أنفسهم حتما بما يكفى من أسلحة نووية متقدمة لردع الروس من الهجوم عليهم؟ وأليس أمام أعينهم الخبرات غير السعيدة للآخرين، بما فيهم الروس الذين اهتموا بالحصول علي وضع خاص فى «العالم الثالث»؟ وهو أيضا يجب أن لا ينسى أن مقياس الزمن الصينى يختلف عن مقياسنا، وأنهم لم يقتنعوا بتبين حل وسط فى أهدافهم السياسية لمجرد جعل الشيء يتحقق فى نفس القرن. وفى المثل الصينى القديم، فإن السنوات المائة الأولى لأى أسرة حاكمة هى أسوؤها.

وفى واشنطن حيث تتشكل السياسة الخارجية من خلال لعبة كرة قدم أمريكية بين البيت الأبيض ووزراء الخارجية. والبنتاجون ووكالة المخابرات الأمريكية، والتى عادة مايفوز فيها البيت الأبيض، فإن السفير قد يحكم أنه، إجمالا، وفى معظم ١٩٧٢ فإن كلا من الرئيس نيكسون والدكتور كيسنجر قد قيموا ردود الفعل الروسية والصينية بشكل صحيح، ورغم أنهم أثاروا حساسيات اليابانيين وأصدقائهم فى جنوب شرق آسيا وأنهم قد حققوا أفضل مايمكن تحقيقه من عمل سيئ مثل الحرب فى فيتنام التى ورثوها عن أسلافهم.. وقد يفكر السفير أن الأمريكيين قد تعلموا الكثير بممارستهم القوة منذ أيام مستر دالاس حين نظر إلى عدم الانحياز ككلمة قذرة، إن سفيرا أوروبيا يجب أن لايسمح لحكومته أن تنسى أن الأمريكيين يتوقعون أن الأوروبيين يستطيعون أن يعتمدوا عليهم لتقديم العون المالى مادامو ينظرون إلى ذلك كشيء جوهرى للأمن الأمريكى، وسوف يدرك السفير البريطانى بشكل محزن أن الأمريكيين هذه الأيام ينظرون إلى البريطانيين كعمة عانس من العائلة يستمتعون بزيارتها كواحدة من العائلة، ولكنهم لم يعودوا ينظرون إليهم على أن لهم نفوذا جادا على الشئون الدولية.

وفى باريس فإن المراقب فى السفارة البريطانية مثلا سوف يأمل أن الفرنسيين لم يكونوا أبدا جيرانا هينين وأنهم يفاوضون وكأنهم يبيعون رطلا من الشاى ويأملون أن يكسبوا

نصف بنس إضافى فيها، ولكن عليه أن يعجب بقدرتهم على أن يحصلوا على كلا الأمرين: أن يبقوا على مبعدة من الولايات المتحدة والناتو فى الوقت الذى يعتمدون عليهم فيه للدفاع عنهم، والبقاء على الجانب التقدمى فى الوقت الذى يبيعون فيه الأسلحة لجنوب أفريقيا، وأيا كان تنازع تيارات فكرة حول هذا الشعب الممتاز والساخط، فإن موضوعه الأساسى يجب أن يكون اعترافه بعظمة فرنسا ومكانها فى مركز علاقات بريطانيا مع أوروبا.

وفى أماكن أخرى فإن السفير مواجه بتنوع واسع من الاتجاهات التى تصنع وجهة النظر السياسية التى يجب أن يتأملها مليا، وفى دلهى بالنغمة الأخلاقية العالية التى يتبناها الهنود وهم يتابعون بها مصالحهم بقوة وبشكل لايرحم. وفى برن بالمعرفة المريحة أن السويسريين يمكن أن تخهم تقريبا على أي اتجاه غير محايد، بشرط أن يقتنعوا أيضا أن هذا لن يعرض حيادهم للخطر.

ويتطلع السفراء عبر نوافذهم فى لندن وهم يتوقفون مؤقتا فى كتاباتهم المتعجلة لبرقياتهم حول «رجل أوروبا المريض» لكى يستمعوا إلى الآراء البريطانية وهى تسهب فى الحديث بسرور من يتلذذ بالألم حول كل نزاع فى الصناعة، وكل فشل فى الإنتاج البريطانى. وسوف يفكرون أننا حقا أمة من أصحاب الحوانيت الذين يعرضون كل صباح قائمة من البضائع التى لايريد زبائننا أن يشتروها. فهل سيفهمون فى أي وقت التناقضات فى الشخصية البريطانية، والاعتقاد الغريب بأن الأجانب يتعرفون على السياسة الخارجية البريطانية بأنها تدار بشكل صارم وفقا لقواعد، أو جهود العديد من الرجال المخلصين ذوى العقول المتحررة لإخضاع المصالح البريطانية لقضايا نبيلة، وصعوبة التوصل إلى ما الذى يريده البريطانيون ماداموا يبدون غالبا أنهم أنفسهم لايعرفون؟ وقبل أن يكتبوا برقيات تنبه إلى الخطر، يجب عليهم أن يتأملوا فى الملاحظة التى صدرت عام ١٨٣٠ بأن «هناك بوجه عام أزمة زائفة فى كل عيد فصح، حيث تبدو فيها إنجلترا ضائعة، ولكن سرعان مايعثر عليها مع يوم أحد السعف».

هذه فقط ومضات قليلة عن مشكلات التحليل السياسى والإنسانى التى يجب على السفير أن يحاول فهمها، وسوف ينجح فى هذا بوضوح إذا ما استخدم عقول أعضاء سفارته. والطريق لذلك، والذى وجدته مفيدا، هو أن تدير السفارة وفقا للمبدأ الشيوعى

الصينى عن النضال الداخلى فى الحزب، بتشجيع أعضاء السفارة بانتقاد جهود السفير بالقدر الذى ينتقد هو جهودهم. فى يوم ما فى موسكو قال لى سفيرى «لقد أعددت مشروعا جديدا لبرقية، ولكنى أخشى أنه لم يبق من مشروعك إلا القليل». وقد سعدت بهذا مادامت النتيجة النهائية تبدو مفهومة بشكل جيد. إن الكثير جدا من الجدل بين الطهاة السياسيين يجب تجنبه، ولكنه يساعد على التقييم السياسى الذكى وفقا للمبدأ الماركسى لحل التناقضات إذا ما تمكن السفير من تشجيع المناقشة الجارية بين اثنين من الخبراء ذوى الأفكار الخصبة، ووجهات النظر المتماسكة، والتصميم على أن يثبت كل منهما أن الآخر على خطأ.

وأيا كان حسن فهم السفير للشعب الذى يعيش بينه، فإنه لن يكون دائما على صواب فى تقييمه خاصة، وكما وجدت من فشلى الشخصى، إذا ماكان عليه أن يخمن التصرفات المتطرفة المحتملة للديكتاتوريين المغالى فيها نتيجة لذكرياتهم عن نجاح ثورتهم وتبنيهم المؤامرة كطريق لهم فى الحياة. ولذلك فإنه يجب أن يتأكد أن مركزه يقوم على أساس متين فى وطنه. وأكثر العناصر الأولية التى تتطلبها الدبلوماسية الجيدة هى أن يعرف مراكز القوة فى بلده. إن سفيرا بريطانيا مثلا يعلم أن مصيره إنما يقع لا فى أيدى الوزراء أو حتى فى أيدى الصحافة ، وإنما فى الإدارة التى يتبعها فى الداخل والتى يجب أن تكون موضع اهتمامه الداخلى.

عن التفاوض:

على الرغم من أن وزيرا أو فريقا من الخبراء يستطيعون فى هذه الأيام أن يسافروا خلال ساعات قليلة إلى أى عاصمة فى العالم، إلا أننى أعتقد أن السفير يجب دائما أن يدير العلاقات مع الحكومة المعتمد لديها مالم يكن هناك سبب وجيه لأن يتولاها شخص آخر، إن وزيرا للخارجية يجب أن يتيح لسفرائه أن يكون لهم نصيب فى عملية التفاوض، وأن لايقع تحت الوهم بأن المفاوضات أكثر احتمالا أن تنجح حين تدار بواسطته أو بوزير على الجانب الآخر. ولا يجب إيفاد مبعوثين شخصيين عند كل أزمة. إن هذا ينتقص من قيمة الممثل الدبلوماسى وتجعل الناس تظن أن حكومته لا تثق فيه. وزيادة على ذلك، فإن أى حكومة إنما تخاطر بأكثر عناصر مكانتها إذا ما أوفدت وزيرا فى الحكومة فى أزمة ما لكى يحاول مع رئيس عنيد، والذى قد يظن أنه من التكتيك الجيد أن يرفض مقابلته. إن إيفاد

مبعوثين شخصيين هو عادة أمريكية سيئة إلا أنه من حسن حظ السفراء الأمريكيين أنه ينظر إليها على أنها نتيجة لاقتصاديات الوفرة، وتنافس الإدارات فى واشنطون.

فإذا كانت هناك أسباب وجيهة لأن يدير وزير المفاوضات فى عاصمة أخرى، فيجب أن يكون مستعدا لأن يبقى لآخر لحظة وأن لايبدو شغوفا فى أن يعود إلى بلده بشىء ما يقوله بما سوف يفيده فى البرلمان والحزب، إذ أن هذا سوف يعطى الفريق المفاوض الآخر ميزة تكتيكية ماداموا يستطيعون ممارسة الضغط برفضهم الإسراع فى التوصل إلى اتفاق ومن المهم بوجه خاص أن لايقوم وزير بزيارة بلد آخر لأسباب داخلية فى المقام الأول وبادعاء الرغبة فى مناقشة مسائل ذات أهمية خطيرة لكلتا الحكومتين. ومن خلال خبرتى فإن الحكومات ماهرة فى تشمم لماذا يزورها وزير. ويكرهون بوجه خاص الوزير الذى يتلاعب بالشئون الداخلية على أعتاب دارهم.

وحتى إذا كانت المفاوضات أساسا فنية وتحتاج إلى خبراء لفهمها. فإن الخبراء قد يحتاجون السفير لكى يتولاها وخاصة إذا كانت هذه المفاوضات تتضمن مسائل سياسية. وقد تمكنت مرة أن أدير مفاوضات حول ميزان الإسترليني دون أن أحطم المالية البريطانية، مادام لدي خبير بجانبى. وفى كل الأحوال فإن عضوا فى السفارة يجب أن يشترك فى المفاوضات مادام الوفد القادم من الوطن سيحتاج إلى توجيه حول الظروف المحلية والشخصيات وسوف يطلب من السفارة عادة أن تتابع المفاوضات حين يغادر وفد المفاوضات إلى بلده، إن الحجج تولد الحجج، والمفاوضة هى عملية مستمرة.

إن خبرة المفاوضات الداخلية لاتتصل بشكل وثيق بالتنوع الدولى. ويقال عن بيفين تشمبرلين أنه بتعوده على المفاوضات الصناعية التى يريد فيها كلا الجانبين أن يجد حلا، فإنه لايفهم أن هذا نادرا مايحدث فى الشئون الدولية.

وبطبيعة الحال فإن الوزراء والسفراء سيرحبون إذا ما أرجع إليهم الفضل فى اتفاق تفاوضوا حوله.. ومع هذا فإنه فى معظم الحالات فإن الحقيقة هى أنه بعد فترة من التطور التدريجى فإن كل طرف فى المفاوضات يقرر بشكل مستقل أنه من الأفضل تسوية المسألة وفقا لشروط يدرك أن الطرف الآخر سوف يقبلها. والسؤال الهام بوجه عام إنما يتعلق بالتوقيت وتحديد متى يصبح النزاع ناضجا للتسوية. ويحتاج المفاوض للحظ لكى يصل فى اللحظة الصحيحة. فإن كان لن يتوصل إلى اتفاق، فإنه سوف يخسر بتقديمه تنازلات،

ومن الأفضل عندئذ أن يكون عنيدا بقدر الإمكان، ويمكن للمرونة المعقولة أن تجدى إذا ما كان مضمونا بشكل صحيح أن تسوية وشيكة الحدوث، ويعرف الروس هذا جيدا.

إن القواعد الأساسية لإدارة المفاوضات هى فيما افترض نفس القواعد لأى مفاوضات محلية أو دولية: الصبر الذى لاينفد، التحكم فى الغضب حين يتطلب الأمر ذلك، ولكن ليس التهكم. وقد اعتاد المستر بيفين أن يقول إنك يجب دائما أن تقاوم إغراء تسجيل نقاط لصالحك، إن واحدا من أكثر المفاوضين الراسخين الذين رأيتهم يعملون كان هو الدكتور ادیناور. ومازلت أستطيع أن أتذكره جالسا بابتسامة ضاحكة على وجهه وفى تحكم كامل فى نفسه خلال المفاوضات... وقد علمنا السير ايفون كير كباتريك فى ألمانيا حكمة خفض كل مسألة إلى أبسط أجزائها رغم أن زملائى الأمريكيين تعودوا أن يتندروا بشكل مسموع حين كان يبدأ فى جدل اقتصادى بعبارته المفضلة «خذ خمس تفاحات» ثم ينتهى من تصويره الحسابى إلى أكثر النتائج خطأ، كذلك تعلمت، كعضو فى اللجنة الاقتصادية للمفوضية السامية للحلفاء، أنه حين تفشل فى التوصل إلى اتفاق وتحيل المسألة إلى القمة، فإنها سوف تعود إليك بدون حل. ومن ثم يأتى الإصرار الحكيم الذى لايتغير أن مؤتمرا على مستوى القمة يجب أن يعد له إعدادا جيدا. وأنه لمن الأكثر احتمالا أن لاينتهى بفشل يجلب الكارثة إذا ما استطاع الرسميون أن يتنبأوا بنتيجته وأن يصوغوا البيان المشترك قبل أن يبدأ المؤتمر.

وسوف يدرس الدبلوماسى سيكولوجية وتكتيكات الوزراء والرسميين الذين يهمونه بشكل أكثر، وسوف يتعلم بعد فترة من الوقت مع من يكون من المريح التفاوض معه رغم أن الاختيار الذى يستطيع أن يمارسه فى هذا الخصوص اختيار حدود. وفى ألمانيا كان اختيار التعامل فى المسائل الاقتصادية إما مع د. ايرهارد (وزير الاقتصاد) أو مع د. وستريك وزير الخارجية، وتنبهنا إلى أن الدكتور إيرهارد فى الوقت الذى يبدو فيه دائما صديقا ويسجل وجهات نظرنا، ويعد باتخاذ إجراء، إلا أنه غالبا مايلقى هذه الملاحظات فى سلة المهملات بعد مغادرتنا ولا يتحقق أى شىء، أما الدكتور وستريك فقد يقول: لا، لعدة شهور، ولكن حين يقول نعم، فإنه يتبعها بالعمل مباشرة، وعلى هذا فضلنا أن نتعامل مع د. وستريك، وقد ارتكبت خطأ فادحا فى التعامل معه، حين كان أحد واجباتى أن أحصل على كل أوقية من خردة الصلب أستطيع أن أستخلصها من ألمانيا حتى إلي حد إنشال الغواصات الألمانية الغارقة فى المياه فى نطاق المنطقة الروسية، وحين بدأت أيأس من

الحصول على المزيد طلبت مساعدة عضو كبير فى المفوضية السامية الأمريكية، وقابلنا معا الدكتور وستريك وقد بذل الأمريكى أفضل ماعنده لمساعدتى، ولكنه اختار أن يعرض نقاطه بشن هجوم شخصى حاد على الدكتور وستريك. وكان لهذه المقابلة أثر مدمر. فلمدة عام بعد ذلك لم أقابل د. وستريك دون أن يشير بشكل عاطفى إلى هذا الحادث.

وليست هذه دائما هى الطريقة التى يستجيب بها الألمان فى مثل هذه المواقف. فقد حدث أن هاجم السير ايفون كيركباتريك المستشار الألمانى بشدة فى صباح يوم ما، وقد كان عصبيا وهو ينظر كيف سيرد الألمان على هذا فى حفل الغذاء الذى كان يقيمه لهم فى نفس اليوم. وفى هذا الحفل استدار الدكتور هالشتين إلى ليدى كيركباتريك وقال: «هذا الصباح كان زوجك رائعا» وكان السير ايفون يعرف كيف يهاجم دون أن يخلف وراءه مشاعر غير ودية.

وفى السنوات المبكرة وقبل التحاقى بالخارجية البريطانية، تفاوضت مع الأمريكيين نيابة عن حكومة الهند. وقد تعلمت من هذه التجربة الفارق الضخم الذى يمكن أن يحدثه فى علاقات الحكومات الشخصيات المسئولة عن هذه العلاقات فقد كان علينا أن نتفاوض على الجانب الأمريكى مع المستر والاس موراى الذى كان صعبا وعدائيا بشكل علنى للإنجليز فى الهند. ثم خلفه المستر لوى هندرسون فتبدل الموقف كلية بطريقة الصديقة المعاونة. ومن يومها لم أكف عن الإعجاب واحترام مستر هندرسون كواحد من أقدر أعضاء الدبلوماسية الأمريكية فى زمنه. وأذكر أن من هذه الأيام مفاوضات تصور الصعاب التى تثور حين يبدأ الجانبان من وجهتى نظر مختلفتين تماما فقد قدم عضو الكونجرس جونسون قانونا لمنع الأفيون إلا للأغراض الطبية والعلمية. وقد طلبت منا وزارة الداخلية أن نسن قانونا وفقا لهذه الخطوط فى الهند. كما أبلغنا أن عددا من الدول الأخرى بما فيها أفغانستان وتايلاند قد وافقت على أن تفعل هذا. وكان لدينا على الأقل تحفظات حول فعالية القوانين التى اتخذتها بعض البلاد المعنية وكانت حججنا أن السياسة الهندية فى الخفض التدريجى لاستهلاك الأفيون بواسطة التحكم فى إنتاجه والضرائب العالية سيكون له أثر عملى أكثر. كان هذا هو الفارق بين إعلان مشكوك فيه حول ما نعتزم فعله، والذى قد يبدو جيدا على الورق وبين التناول العلمى.

إن المناهج الوطنية للمفاوضة يجب أن تدرس، ففى غرب أوروبا يساوم الوزراء والرسميون حول المائدة طوال الليل غالبا. وفى عملية التفاوض تجرى مساومة حقيقية وتنازلات من أناس لديهم السلطة على ذلك نيابة عن حكوماتهم. وفى موسكو هناك القليل من تفويض السلطة وتقريبا ليس هناك مساومة حول المائدة، إن التقدم أقل بطأ، وأساليب التفاوض غير مباشرة. وتحال الاقتراحات الغريبة إلى «القيادة» هؤلاء الأشخاص الذين لايظهرون ولا تحدد شخصياتهم أبدا. وبعد بضعة أيام تقدم الإجابة رسميا من الشخص الرسمى الذى تسلم الاقتراحات. وفى الأغلب يقرأ الرد من مذكرة مكتوبة وتقدم كبيان شفهى، ولكنه يسلم إلى السفير للتأكد من أنه لم يخطىء فى تسلمها، وتصاغ بهدف النشر فى الحال. وفى هذا الشأن فإن البروتوكول الذى يحافظ على اختلاف دقيق بين بيان شفهى ومذكرة رسمية إنما يراعى بدقة.

ولا يخشى الروس أبدا من التكرار. فسوف يرددون نفس الشىء مرارا وتكرارا، وسينجحون فى بعض الأوقات فى إنهاك خصومهم بأن يخلقوا شعورا من الرعب لدى الجانب الآخر من تصور تكرار هذه العملية مرة أخرى. وهم يحافظون على نفس الموقف بدون تغيير لعدة سنوات، وفجأة يتحولون إلى موقفهم الآخر الذى أعدوه منذ البداية فإذا ما تخذوا قرارا حول خطوة رئيسية تتطلب اتفاقا دوليا، فإن هذا يمكن أن يستدل عليه مقدما من تغير فى الخط الإعلامى. ويلعب الصينيون أيضا المباراة بدون حدود زمنية، ويجب على خصمهم أن يكون مستعدا على مواجهة الجدل بلا نهاية وحتى القرن التالى إذا كان هذا ضروريا.

إن استخدام لغة المفاوض الآخر فى مفاوضات معقدة، حتى لو كنت تعرفها جيدا، قد يكون خطرا، مادام هذا يعطى الجانب الآخر ميزة بينما تعطيك الترجمة وقتا لكى تفكر. والمترجم يفكر فقط فى اللغة، ولن يركز المفاوض على موضوع المفاوضة بكل فكره إذا ماكان عليه أن يفكر نصف الوقت حول تصريف الأفعال أو يوتر نفسه بتصيد معنى عبارة تحجبها لهجة أو لغة عامية أو انطباع متعمد وقد سجل مترجم هتلر وجهة نظره أن السير نيفيل هندرسون كان مخطئا فى إجراء مناقشات مع هتلر باللغة الألمانية. قد يكون هذا نوعا من الكبرياء المهنى، غير أن زهو القدرة اللغوية قد يكون مغريا بشكل غادر، وتتطلب الترجمة عقلا خاصا وتدريبا على الأسلوب وكذلك فى اللغة، وبخلاف موظف الأمم المتحدة فإن الروس والصينيين هم أكثر المترجمين تدريبا ويمكن الاعتماد عليهم بشكل

مطلق، ويستطيع الأمريكيون إلى حد كبير باعتبارهم مجموعة من الأمم، أن ينتجوا شخصا ذا خلفية لغوية صحيحة. وخلال احتلال ألمانيا، كان يقال عن المفوضية الأمريكية السامية فى بون أن نصف أعضائها لايجيدون الألمانية، والنصف الآخر لا يتحدثون شيئا آخر. والامتياز البريطانى فى اللغة العربية كأثر للعلاقة البريطانية العربية القديمة، إنما يتضاءل الآن بشكل محزن، ولا أستطيع أن أحجم عن ذكر آمديو جيولت الإيطالى المرموق فى اللغة العربية، وصاحب الشخصية الرائعة الذى قاد واحدة من آخر المهام الفروسية فى تاريخ الحرب ضد المدافع البريطانية فى كرن وبعد الاستسلام الإيطالى فى أثيوبيا شق طريقه عبر البحر الأحمر لكى يعيش بقية الحرب كضيف لإمام اليمن تحت اسم أحمد عبدالله، وكوزير لإيطاليا فى اليمن بعد الحرب، فقد رافق الإمام فى زيارته الرسمية إلى إيطاليا، وخلال الزيارة تساءل الرئيس جرونشى «وأين تعلمت لغتك الإيطالية»؟

ويتراوح المترجمون الفرنسيون بين من يثيرون الإعجاب ومن يثيرون الضحك. وقد ترجم مترجم فرنسى مرة فى بون نفيا رسميا لأى Arriere Pensee أن حكومته ليس لديها أى تفكير فى خلفية رأسها، وإن كان قد تصادف فى هذه اللحظة أنه يعكس الحقيقة بدقة. كذلك كان أحد أبرز المترجمين الفرنسيين هو السيد كامينكر والذى كان بطل أكثر الحكايات شيوعا عن الترجمة، كان ذلك فى لجنة نزع السلاح التابعة للأمم المتحدة، وكان الوقت متأخرا والوفود متلهفة على الانصراف للعشاء، ويبدو أن السير كامينكر كان على موعد، وكما هى العادة ألقى المسيو مولوتوف خطابا استغرق ثلاثة أرباع ساعة، وحين جاء دوره قال السيد كامينكر «السيد الرئيس ، والسادة أعضاء الوفود، مسيو مولوتوف لم يقل شيئا».

إن مذكرات المترجمين المحترفين الذين أمضوا حياتهم فى الترجمة مثل شميدت لها بعض القيمة التاريخية مادام المترجمون هم آلات دقيقة وذوو ذاكرة حرفية جيدة ورصيد واسع من المذكرات، وليس لديهم تحيزات لتشويه الماضى أو سقطات شخصية يريدون إخفاءها.

وفى بعض الأحيان فإن السفير يجب أن يقابل وزيرا بدون حضور أى شخص آخر وفى هذه الحالة فسوف يسجل فى الحال ما سمعه بعد عودته إلى السفارة. وكان ناصر، والذى كانت إنجليزيته تقرب حد الكمال. والذى لم يكن يثق فى زملائه، يرانى غالبا بمفردى ولم يكن سيكون نصف ماعليه من صراحة إذا ماكنت قد اصطحبت أحدا معى، فقد

كانت شكوكه ستثور فى الحال، والمرة الوحيدة التى سجلت فيها بعض المذكرات خلال مقابلة معه كانت حين أعطانى رده على بيان الحكومة البريطانية فى اليوم الذى تلا الهجوم الإسرائيلى على سيناء فى نوفمبر ١٩٥٦. وقد أوضحت له أنى أسجل بعض المذكرات وسوف أعيد قراءتها عليه مادمت لا أستطيع أن أجازف بأي خطأ. وقد طلب منى أن أستبعد ماقاله عن أنه فى اليوم التالى سيدافع المصريين عن القناة ضد البريطانيين والإسرائيليين، وربما ظن أنه من غير الحكمة أن ينغمس فى التظاهر بالشجاعة فى هذه اللحظة، أو أنه لم يكن متأكدا تماما من موقفه، حيث إنه قد ذكر لى بعضا من أعضاء حكومته كانوا يفضلون التوصل إلى اتفاق.

وعادة، فإن السفير يجب أن يرافقه أحد خلال المحادثات الخطيرة ذات الأهمية السياسية، فباستثناء بعض الظروف الاستثنائية، فإن العادة التى يجب أن يؤسف لها كلية هى أن يلتقى الوزراء «تحت عيون أربعة» كما يقول الألمان، إن هذا حتما سوف يؤدى الى سوء تفاهم ولن يعرف أحد ماذا قيل حقا. وإنه لمن الممارسة الخطرة اعتماد الزائر على مترجم الجانب الآخر ولا يصطحب أحدا معه فى المقابلة، ففى النقاش حول محضر المقابلة، سيكون هناك اثنان مقابل واحد.ومع ذلك فقد يكون هناك مناسبات استثنائية لا تجرى فيها المقابلة بالطريقة العادية، وفى هذه الحالة يجب أن تنشأ علاقة شخصية خاصة، ومن المحتمل أن ينظر إلى مناقشات المستر هيث المنفردة مع الرئيس الفرنسى بومبيدو عام ١٩٧١ على أنها كانت لحظة حاسمة فى تطور العلاقات البريطانية مع أوروبا.